"أدب النّصيحة" في التّراث الأدبيّ ومنطلقاته الفكريّة

سمير فهمي كتّاني

تلخيص:

تتناول هذه المقالة موضوع " النّصيحة" في التّراث الأدبيّ العربيّ بمفهومه الواسع والشّامل، بحيث يبدو الأدب من خلاله شديد الصّلة بكلّ نواحي الحياة الإنسانيّة؛ العلميّة الفلسفيّة، والاجتماعيّة، والدّينيّة، والفنّيّة.

ونبتغي من وراء تناولنا لهذا الموضوع أن نطرق أحد ألأبواب الخلفيّة للأدب، منتبهين إلى الجوانب المضمونيّة فيه، وأن نستعرض دلالات " النّصيحة" في المجالات الثّقافيّة الشّائعة في التّراث الأدبيّ، لا سيّما إذا عرفنا أنّ تناول موضوع " النّصيحة" كان شائعًا جدًّا في هذا التّراث، غير أنّ منطلقاته الفكريّة كانت متنوّعة ومتعدّدة ومن السّهل على القارئ أو الباحث أن يحدّد طبيعة وميول المصنّفات الّتي اهتمّت بهذا الموضوع، وأن يلاحظ مدى اختلافها عن بعضها البعض من النّاحية المضمونيّة بشكل خاصّ، ولكن أيضًا من النّاحية الأسلوبيّة.

وسنحاول في هذه المقالة القصيرة أن نجمع بين شتات هذه المنطلقات، وأن ننظر إليها جميعًا على أنّها تصبّ في مصبّ الأدب الواسع والشّامل، وإن بدت لأوّل وهلة أنّها متفرّقة ومتمايزة عن بعضها البعض.

وتجدر الإشارة إلى أنّ معظم هذه المنطلقات تبدو أنّها تدور أكثر ما تدور في فلك ما يعرف "بأدب الخاصّة"، لشيوع المصنّفات الّتي تحمل السّمات السّياسيّة لولاة الأمور، والمصنّفات الّتي تحمل نزعة الإصلاح الاجتماعيّ الموجّهة إلى ذوي المناصب الإداريّة المختلفة الأهمّيّة، أو تلك الموجّهة إلى ذوي المناصب الدّينيّة– العلميّة؛ كالقضاة والعلماء، أو ذات النّزعات العلميّة البحتة، كالفلاسفة. ومن هذه المصنّفات الكثيرة الّتي لا يمكن استقصاؤها هنا: نصيحة الملوك للماورديّ، أدب الدّنيا والدّين له أيضًا، تحفة الوزراء للثّعالبيّ، التّبر المسبوك في نصيحة الملوك للغزاليّ، الشّهب اللّامعة في السّياسة النّافعة للمالقيّ، سياست نامه لنظام الملك، قابوس نامه لقابوس بن وشمكير، سراج الملوك للطّرطوشيّ، الحكمة الخالدة لمسكويه، تهذيب الأخلاق له أيضًا، روضة العقلاء للبستيّ، الجليس الصّالح لسبط ابن الجوزيّ، الفرق بين النّصيحة والتّعيير لابن رجب الحنبليّ، الفخريّ في الآداب السّلطانيّة لابن طباطبا، الأدب الصّغير والأدب الكبير لابن المقفّع، كليلة ودمنة له أيضًا، فاكهة الخلفاء لابن عربشاه، سلوان المطاع في عدوان الأتباع لابن ظفر الصّقلّيّ، رسائل إخوان الصّفا، عيون الأخبار لابن قتيبة، تحفة الوزراء للثعالبي، إلى جانب مصنّفات أخرى كثيرة لا مجال لاستعراضها جميعًا. وسنتطرّق بطبيعة الحال في مقالتنا هذه إلى بعض من المصنّفات الّتي ذكرت آنفًا.

لا شكّ أنّ الأدب العربيّ زاخر بالأجناس الأدبيّة المتنوّعة، قد تكون متشابكة أحيانًا مع بعضها وقد لا تكون، وهي في تعدّدها تعتبر شاهدًا على ثراء هذا الأدب وغناه مضمونًا وأسلوبًا.

ونحن بصدد الحديث عن أحد الأنواع الأدبيّة الرّائجة في الموروث الأدبيّ القديم، وهو " أدب النّصيحة"، حيث انتشر هذا الأدب في جميع عصور الأدب الكلاسيكيّة، وهي العصر الجاهليّ، وعصر صدر الإسلام والدّولة الأمويّة، والعصر العبّاسيّ بأطواره.

وعمومًا، يندرج الحديث عن " أدب النّصيحة" تحت الحديث عن "أدب الأخلاق". وقد انتشر هذا النّوع الأدبيّ في التّراث الأدبيّ العربيّ بصورة كبيرة خلال العصر العبّاسيّ، حيث ظهرت مؤلّفات كثيرة تتناول موضوع الأخلاق من جوانب متعدّدة، بعضها إسلاميّ النّزعة، وبعضها فلسفيّ النّزعة، وبعضها الآخر أدبيّ النّزعة.

ومن الجدير ذكره أنّ " أدب الأخلاق" نشأ في ظلّ الإسلام مستفيدًا من تعاليم الدّيانة الإسلاميّة، حيث نصّ القرآن الكريم والحديث الشّريف على " محاسن الأخلاق" الّتي ينبغي على كلّ مؤمن التّحلّي بها[1]. ورغم الصّبغة الدّينيّة لهذا الموضوع، لم يكن المشتغلون بالفلسفة وعلم الكلام، وكذلك الشّعراء المعبّرون عن تراث البداوة والعروبة بمنأى عن تناول هذا الموضوع في إنتاجاتهم.

وقد يكون من المناسب ضمّ هذا الموضوع إلى ما يمكن تسميته " بأدب الحكمة"، حيث لهذا الأدب مفهوم يتّسم بالشّموليّة في اصطلاح كثير من المصنّفين العرب القدامى، فيدخل ضمن ذلك "الفلسفة" و "العبرة المقترنة بفهم الأشياء" و "العلوم" على اختلافها[2].

وأيًّا يكن الأمر، فإنّنا إذا كنّا ننوي إفراد هذه المقالة لموضوع " النّصيحة"، فإنّنا نتحدّث بداية عن المعاني اللّغويّة والاصطلاحيّة لعنوان موضوعنا، فقد ورد في بيان معاني الجذر " نصح" أنّ " النّاصح" هو الخالص من العسل وغيره. والنّصح هو نقيض الغشّ. ويذكر التّعبير " أخلصْت له نصيحتي نصوحًا" بمعنى أخلصت وصدقت، ومن هنا جاء الاسم " نصيحة" بهذا المعنى[3].

---

[1] . Walzer., Gibb, " Akhlak", *EI*, New Edition, 1/ 325-326.

[2] . Goichon, A.M, " Hikma", *EI*, New Edition,v3, p377

[3] . **لسان العرب**، 2/ 614. مادّة " نصح".

كما ورد أنّ النّصيحة مأخوذة من قولهم: " نصحَ الخيّاطُ الثّوبَ إذا أنعـمَ خياطتـه، ولم يـتركْ فيه فتقًا ولا خللاً"[4].

والنّصح عمومًا هو "فعل الشّيء الّذي به الصّلاح"[5].

وقد ورد في الشّعر قول النّابغة الذّبيانيّ:

نصحْتُ بني عوفٍ فلم يتقبّلوا رسولي ولم تنجحْ لديْهم وسائلي[6]

وقال بشّار بن برد:

إذا بلغ الرّأي والمشورةُ فاستعـنْ برأيِ نصيـحٍ أو نصيحةِ حازمِ

ولا تجعلِ الشّورى عليك غضاضةً فـإنّ الخـوافـي قـوّةٌ للقـوادمِ[7]

وقال أبو الأسود الدؤليّ:

وما كلُّ ذي نصحٍ بمؤتيكَ نصحَهُ ولا كـلُّ مـؤتٍ نـصيحَـهُ بلبيبِ

ولكن إذا ما استجمعا عندَ صاحبٍ فحـقَّ لهُ مـن طـاعةٍ بنصـيبِ[8]

وقال ابن عبد ربّه في رفض النّصيحة:

فلئنْ سمعْتَ نصيحتي وعصيْتها ما كنـتُ أوّلَ ناصـحٍ معصـيّ[9]

كما استخدم إخوان الصّفا في صدور ومتون رسائلهم سمة النّصح مقرونة بسلوك الإخوان، وذلك لأنّ أهمّ عناصر الصّدق في الأخوّة هو الإخلاص في النّصيحة. وممّا جاء في بعـض رسـائلهم: " قـد اخترناك أيّها الأخ لأمر فيه قربة إلى الله تعالى، ونـصرة للـدّين، ونـصيحة للإخـوان...وتقـرأ لـه التّحيّة والسّلام من إخوان له فـضلاء، وأصـدقاء لـه نـصحاء، مـن أولاد العلمـاء، وحملـة الـدّين والفقهاء.."[10].

---

[4] . الزّمخشريّ، **أساس البلاغة**، 635.

[5] . المالقي، **الشّهب اللّامعة**، 75.

[6] . شيخو، لويس، **شعراء النّصرانيّة قبل الإسلام**، 697.

[7] . الماورديّ، **أدب الدّنيا والدّين**، 300.

[8] . الماورديّ، **م.س.**، 301.

[9] . ابن عبد ربّه، **العقد الفريد**، 1/ 48.

[10] . إخوان الصّفا، **رسائل إخوان الصّفا**، 189.

ويروى عن الخليفة الرّاشديّ عليّ بن أبي طالب قوله في النّصيحة: " لا تعملْ بالخديعةِ فإنّها خلقُ اللّئامِ، وامحضْ أخاكَ النّصيحةَ حسنةً كانتْ أو قبيحةً، وزُلْ معهُ حيثُ زالَ"[11]. كما روي عنه قوله: " في المشورة سبع خصال؛ استنباط الصّواب، واكتساب الرّأي، والتّحصّن من السّقطة، وحرز من الملامة، ونجاة من النّدامة، وألفة القلوب، واتّباع الأثر"[12].

ويُتوسّع في استخدام مشتقّات اللّفظ " نصح" في التّراث العربيّ، إذ يعتبر النّصح لأبناء الملل غير الإسلاميّة حبّ إسلامهم ودعوتهم إلى الإيمان بالقول أو العمل، كما يعتبر النّصح للأئمّة معاونتهم على القيام بواجباتهم وتنبيههم عند غفلتهم عنها، كما يعتبر النّصح لجماعة المسلمين الشّفقة عليهم وتوقيرهم ورحمتهم وإعانتهم[13]، فنجد أنّ النّصح اصطلاح جامع لكلّ ما هو واجب أو مندوب من إبداء رأي أو دفاع عن حقّ أو مواجهة ظلم أو اتّخاذ موقف إيجابيّ من كلّ ما يمرّ بالمسلم من أحداث. ونستشهد بكلام " أبي الدّرداء"[14] يحدّث أصحابه قائلاً: " إن شئتم لأنصحنَّ لكم؛ إنَّ أحبَّ عبادِ اللهِ إلى اللهِ الّذينَ يحبّبُون اللهَ إلى عبادِهِ ويعلّمونَ في الأرضِ نصحًا"، وفيه ما يدلّ على نموّ اصطلاح " النّصيحة" في ظلّ العقيدة الإسلاميّة.

وفي سياق الحديث عن فضل النّصيحة وأهمّيّتها قال بعض الشّعراء يحذّر من اللّئام:

واحذرْ ذوي الملَقِ اللّئامَ فإنّهم ... في النّائبات عليْكَ ممّن يخطُبُ

فقلدْ نصحْتُكَ إنْ قبلْتَ نصيحتي ... والنّصحُ أفضلُ ما يُباحُ ويوهَبُ[15]

فنلاحظ إذن أنّ اكتساب اصطلاح " النّصح" ومشتقّاته لكلّ هذه المعاني وغيرها نابع بشكل كبير من التّصوّر الإسلاميّ للإنسان المتكامل المثاليّ، الّذي لا يسكت عن حقّ ولا يرضى بغشّ.

---

[11] . البستيّ، **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، 180.

[12] . ابن طلحة، **العقد الفريد للملك السّعيد**، 59.

[13] . الطّرطوشيّ، **سراج الملوك**، 190.

[14] . هو عويمر بن مالك الخزرجيّ، صحابيّ، من الحكماء الفرسان القضاة، اشتهر بالشّجاعة والنّسك. كان أوّل قاض بدمشق في زمن الخليفة عمر، توفّي سنة 32 هـ. انظر: الزّركليّ، **الأعلام**، 5/ 98.

[15] . التّوحيديّ، **الصّداقة والصّديق**، 94.

وقد يكون في النّصح عتاب، وقد عدّ العتاب في كلام العرب الجاري على الألسنة إيجابيًّا، لما فيه من رغبة في تقويم الأود، ونيّة في تصحيح العوج، كقولهم: " العتاب حياة المودّة"[16]، وقولهم: " ظاهر العتاب خير من باطن الحقد"[17]، وكقولهم: " من كثر حقده قلّ عتابه"[18]، وكقولهم: " من لم يعاتب على الزّلّة فليس بحافظ للخلّة"[19]، إلى جانب أقوال أخرى كثيرة جرت مجرى الأمثال.

وقد أنشد " عليّ بن الجهم"[20] في ضرورة العتاب بين الأصدقاء:

أعاتبُ ذا المودّةِ من صديقٍ إذا ما رابني منه اجتناب

إذا ذهب العتابُ فليس ودٌّ ويبقى الودُّ ما بقي العتاب[21]

ولكن، يستقبح إخبار الرّجل أخاه بعيب على وجه التّوبيخ بالذّنب لا غير، على عكس إخباره بعيوبه ليعرفها ويبتعد عنها، فهذا خلق محمود قطعًا[22]. وقد روي عن "الفضيل بن عياض"[23] قوله: " المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعيّر"[24].

وفي رواية عن بعض الحكماء أنّه سئل: " أتحبّ أن يخبرك أحد بعيوبك؟" فقال: " إن كان يريد أن يوبّخني فلا"[25].

---

16. الثّعالبيّ، **التّمثيل والمحاضرة**، 269.

17. الثّعالبيّ، **م.س**، نفس الصّفحة؛ القرطبيّ، **بهجة المجالس**، 2/ 726.

18. **الثّعالبيّ**، **م.س**، 270؛ القرطبيّ، **م.س**، 2/ 726.

19. القرطبيّ، **بهجة المجالس**، 2/ 726.

20. هو شاعر عبّاسيّ رقيق الشّعر، عاصر أبا تمّام، وسكن بغداد، خصّ بالخليفة المتوكّل، ولمّا غضب عليه نفاه إلى خراسان. توفّي سنة 249هـ/ 863م. انظر: الزّركليّ، **الأعلام**، 4/ 269–270.

21. القرطبيّ، **م.س**، 2/ 728.

22. الحنبليّ، ابن رجب، **الفرق بين النّصيحة والتّعيير**، 16.

23. هو أحد أكابر العبّاد الصّالحين، كان شيخ الحرم المكّيّ، وكان ثقة في الحديث، أخذ عنه كبار العلماء، ومنهم الإمام الشّافعيّ، ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، وسكن مكّة وتوفّي بها عام 187 هـ. انظر: الزّركليّ، **الأعلام**، 5/ 153.

24. الحنبليّ، **م.س**، 17.

25. الحنبليّ، **م.س**، 16.

كما أنشد " كثيّر عزّة"[26] في هذا المعنى:

"ومن لا يغمّض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

ومن يتتبّعْ جاهدًا كلّ عثرةٍ يجدْها ولا يسلمْ له الدّهرَ صاحب[27]

وفي هذا السّياق أنشد الإمام الشّافعيّ:

تعمّدني بنصحِك في انفرادي وجنّبني النّصيحة في الجماعة

فإنّ النّصحَ بينَ النّاسِ نوعٌ من التّوبيخِ لا أرضى استماعَه

وإنْ خالفْتني وعصيْتَ قولي فلا تجزعْ إذا لم تُعطَ طاعة[28]

ويعدّ الإصغاء إلى النّصيحة من واجبات العاقل أيًّا كان مركزه الاجتماعيّ، وحتّى إنّ الاستماع إلى النّصيحة أوجب ما يكون ممّن يتقلّد المناصب الإداريّة والسّياسيّة وإن علا شأنها. وهناك من يذكر أنّ أحوج النّاس إلى دوام الموعظة والنّصيحة السّلطان، وذلك لأنّ الملك يؤدّي إلى إعراض النّفس مع العزّ والقوّة والتّمكّن والمال[29]. وهنا يعدّ تقديم النّصيحة لولاة الأمر من أعوانهم ومستشاريهم أمرًا واجبًا، وخصوصًا إذا كان صاحب النّصيحة مقبول الكلمة عندهم[30].

ويؤثر عن الخليفة عمر بن الخطّاب قوله الشّهير :"رحم اللهُ امرأ أهدى إليّ عيوبي"[31]. وفي هذا القول ما يعبّر عن مبلغ أهمّيّة توخّي الصّدق والصّراحة في النّصيحة، ومثله قول " ابن

---

[26] . هو شاعر أمويّ متيّم مشهور، من أهل المدينة. اختصّ بالخليفة عبد الملك بن مروان. يروى أنّه كان دميمًا مفرط القصر، ولكنّه كان أبيّ النّفس. له أخبار مع عزّة معشوقته، وكان عفيفًا في حبّه لها توفّي سنة 105 هـ/ 726 م. انظر: الزّركليّ، **الأعلام**، 5/ 219.

[27] . ابن قتيبة، عيون الأخبار، 3/ 21–22.

[28] . الشّافعيّ، **ديوان الشّافعيّ**، 275.

[29] . سبط ابن الجوزيّ، **الجبيس الصّالح**، 39.

[30] . يقول السّبكيّ في هذا المجال: " إذا كنت مقبول الكلمة عند وليّ الأمر فالمطلوب منك أن تنصحه، وتنهى إليه ما يصحّ ويثبت عندك من حال الرّعايا، وتساعد عنده على الحقّ بما تصل إليه قدرتك". انظر: السّبكيّ، **معيد النّعم**، 20.

[31] . الطّرطوشيّ، **سراج الملوك**، 191؛ وفي رواية "الماورديّ": " رحم الله امرأ أهدى إلينا مساوئنا". انظر: الماورديّ، **نصيحة الملوك**، 55.

السّمّاك"[32]: " خير الإخوان أقلّهم مصانعة في النّصيحة"[33].

ويروى في هذا السّياق عن بعض العقلاء قوله لبعض إخوانه: " لا تنصحني حتّى تقول في وجهي ما أكره"[34]. كما يروى عن "العتّابيّ" قوله: " ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد، وضربة النّاصح خير من محبّة الشّاني"[35].

ويروى أنّ الإسكندر كثيرًا ما كان يسأل الحكماء – ومنهم أستاذه أرسطاطاليس– أن يزوّدوه في سفره بما يعينه على الملك، فيكتبون إليه بالمواعظ ويهدونه النّصائح. وهذه الرّواية تشير إلى أنّ الملك الحازم هو الّذي يسعى بنفسه لطلب النّصيحة[36]، فالإسكندر معروف بقوّة سلطانه وبرجاحة عقله، وهذا لا يمنعه من الاستعانة بالحكماء أبدًا، بل بالعكس، لأنّه لا يعرف فضل النّصيحة والمشورة أحد كالحكماء.

وكسرى أنوشروان[37] مثل الإسكندر في سعيه نحو الحكمة، حيث يروى أنّه كان من أحرص ملوك الفرس على طلب العلم والحكمة، وأنّه كان يقرّب أهل الآداب والحكمة ويعرف فضلهم[38].

وفي مجال حرص العاقل على طلب الحكمة من غيره، نسوق رواية مفادها أنّ أحد الحكماء أشار على حكيم آخر برأي فقبله منه، وقال له: " لقد قلت بما يقول به النّاصح الشّفيق الّذي لا

---

[32]. هو محمّد بن صبيح السّمّاك، من متقدّمي الزّهّاد، توفي بالكوفة سنة 183 هـ. انظر: الأصبهانيّ، **حلية الأولياء**، 8/ 203.

[33]. الحصريّ، **زهر الآداب**، 1/ 319.

[34]. الحنبليّ، ابن رجب، **الفرق بين النّصيحة والتّعيير**، 16.

[35]. القرطبيّ، **بهجة المجالس**، 2/ 726.

[36]. الماورديّ، **نصيحة الملوك**، 58، وكان ممّا كتبه أرسطوطاليس إلى الإسكندر: " املك الرّعيّة بالإحسان إليها تظفر بالمحبّة منها، فإنّ طلبك ذلك منها بإحسان أدوم بقاء منه باعتسافك. واعلم أنّك إنّما تملك الأبدان فاجمع لها القلوب بالمحبّة، واعلم أنّ الرّعيّة إذا قدرت أن تقول قدرت أن تفعل، فاجتهد ألاّ تقول تسلم من أن تفعل". انظر: ابن عبد ربّه، **العقد الفريد**، 1/ 18.

[37]. أحد أشهر أكاسرة الفرس، ملّك المنذر بن النّعمان على العرب وأكرمه، واشتهر بإقامته في المدائن، وقد ولد النّبيّ ﷺ في آخر ملكه.

انظر: الطّبريّ، **تاريخ الرّسل والملوك**، 2/ 98–101.

[38]. الدّينوريّ، **الأخبار الطّوال**، 70.

يخلط حلو كلامه بمرّه، وسهله بوعره،... وقد وعيت النّصح وقبلته، إذ كان مصدره من عند من لا يشكّ في مودّته وصفاء غيبه ونصح حبيبه.."[39].

ويذكر " الماورديّ" أنّ كثيرًا من الملوك الحزمة والخلفاء كانوا يقرّبون إليهم أكثر النّاس صراحة في الإشارة إلى عيوبهم وأكثرهم صدقًا في نصحهم، وكان سعيهم الدّائم لاجتناء النّصائح وقبول المواعظ سببًا في قوّة ملكهم ونجاحهم[40].

وقد عدّد الأدباء والحكماء العرب شرائط استقرار الحكم والأمن في المملكة معتمدين على العلاقة بين أركان رأس الهرم السّلطويّ، وهي الملك والوزير، فيذكر الثّعالبيّ أنّه " إذا اجتمع الملك الفاضل، والوزير الصّالح النّاصح، فاعلم بأنّ المملكة تكون ساكنة هادية، وأحوالها وأعمالها على النّظام جارية.."[41].

ويقول ابن المقفّع في كتابه الأخلاقيّ الهامّ " الأدب الكبير": " لا يستطاع السّلطان إلاّ بالوزراء والأعوان، ولا ينفع الوزراء إلاّ بالمودّة والنّصيحة، ولا المودّة إلاّ مع الرّأي والعفاف"[42]. ويقول أيضًا: " عوّد نفسك الصّبر على من خالفك من ذوي النّصيحة، والتّجرّع لمرارة قولهم وعذلهم، ولا تسهلنّ ذلك إلاّ لأهل العقل والمروءة"[43].

ويعدّ الغزاليّ السّعي وراء صديق صادق ومؤمن يخبر المرء بعيوبه وأفعاله أمرًا واجبًا، فيقول في معرض تعداده الطّرق الّتي يعرف بها المرء عيوب نفسه: " أن يطلب صديقًا بصيرًا متديّنًا، فينصبه رقيبًا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله، فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظّاهرة ينبّهه عليه، فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمّة الدّين"[44].

وأنشد عمر بن أبي ربيعة في مساعدة الصّديق:

---

[39] . ابن عبد ربّه، **العقد الفريد**، 1/ 46.

[40] . الماورديّ، **نصيحة الملوك**، 53.

[41] . الثّعالبيّ، **تحفة الوزراء**، 27.

[42] . ابن المقفّع، **الأدب الصّغير والأدب الكبير**، 26.

[43] . ابن المقفّع، **م.س**، 108.

[44] . الغزاليّ، **إحياء علوم الدّين**، 3/ 69.

وخِلٌّ كنتُ عينَ النّصحِ منه إذا نظرتْ ومستمعًا سميعًا[45]

ويذكر الغزاليّ في رسالته "أيّها الولد" أنّ النّفوس قد لا تقبل جميعها النّصيحة، وأنّ العبرة هي في قبول النّصيحة وليس في مجرد الإدلاء بها، لأنّ هذا الأمر سهل، وأمر قبولها منوط بعلو الهمم وبالبعد عن اتّباع الهوى، فيقول: "النّصيحة سهلة والمشكل قبولها، لأنّها في مذاق متّبعي الهوى مرّة، إذا المناهي محبوبة في قلوبهم"[46].

هذا ولا يحبّذ كثرة الإدلاء بالنّصائح، لأنّ ذلك مدعاة إلى الظّنّ، وذلك استنادًا إلى قول "أكثم": "يا بنيّ إيّاكم وكثرة التّنصّح، فإنّه يورث التّهمة"[47].

ومن الآداب الخاصّة بتقديم النّصح للآخرين، ما نجده في بعض كتب الأدب العامّة والخاصّة، من ضرورة توخّي الحذر من إبداء الرأي، وأن يكون ذلك بتلطّف وحكمة، فينتقى الكلام، ولا يوجّه إلى من لا يقبل النّصيحة، أو إلى شخص شكس الأخلاق، وأن يراعى الحقّ في النّصيحة أكثر ممّا يراعى هوى المنصوح. وفي هذا المعنى نجد وصيّة "ابن هبيرة"[48] لبعض بنيه: "لا تكوننّ أوّل مشير، وإيّاك والرّأي الفطير، وتجنّب ارتجال الكلام، ولا تشر على مستبدّ ولا على وغد، ولا على متلوّن ولا على لجوج، وخف الله في موافقة هوى المستشير؛ فإنّ التماس موافقته لؤم، وسوء الاستماع منه خيانة"[49].

ومن الحكم الدّارجة قولهم: " أخوك من صدقك، ومن أتاك من جهة عقلك، ولم يأتك من جهة شهوتك، وأخوك من احتمل ثقل نصيحتك في حظّك.."[50]. واعتبر حكماء العرب السّكوت

---

[45] . ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، 3/ 21.

[46] . الغزاليّ، **مجموعة رسائل الغزاليّ**، 152.

[47] . الزّمخشريّ، **أساس البلاغة**، 635.

[48] . هو عمر بن هبيرة الفزاريّ، يعدّ من الدّهاة الشّجعان، ولاّه الخليفة عمر بن عبد العزيز الجزيرة، وغزا الرّوم، عزله هشام بن عبد الملك، وولّى مكانه خالد بن عبد الله القسريّ، توفّي سنة 110 هـ. انظر: الزّركليّ، **الأعلام**، 5/ 68–69.

[49] . الجاحظ، **البيان والتّبيين**، 2/ 188.

[50] . انظر رسالة ابن التّوأم إلى الثّقفيّ: صفوت، أحمد زكي، **جمهرة رسائل العرب**، 4/ 116. وانظر أيضًا: الطّرطوشيّ، **سراج الملوك**، 191.

عن النّصح عقوبة للمنصوح، وذلك إذا رفض النّصيحة، فقالوا: " انصح أخاك فإن قبل وإلاّ غشّه، فقيل: وكيف أغشّه؟ قيل: اسكت عن نصيحته"[51].

ويعتبر وجود النّاصح ذخرًا للمرء، وسببًا لسعادته وفلاحه، وقد قيل في ذلك:" ولا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وعين من عقلك على طباعك، أو ما كان لك أخ نصيح، ووزير شفيق.."[52].

وقد يُظنّ بالنّاصح السّوء ظلمًا، وهذا ما عبّر عنه القائل:

نصحتُ فلم يقبلْ وردَّ نصيحتي وذو النّصحِ مُظنٌّ بما ليس آتيا[53]

ويستند النّصح إلى عدم الإغلاظ في القول، بل بالعكس، يقوم على التّلطّف في الحديث، لا سيّما إذا كانت النّصيحة موجّهة إلى أحد ولاة الأمور، حيث يكتسب النّصح معنى الموافقة والاحترام والتّوجيه الخفيّ الّذي يتعارض مع موقف الوالي بشكل سافر. ونجد في قصّة الإطار لحكايات كليلة ودمنة ما يشير إلى هذا الأمر، فالحكيم " بيدبا" عندما انتقد سياسة الملك " دبشليم" صراحة[54] أغضبه[55] وأساء إلى نفسه، فزجّ به في السّجن. ولكنّه بعد أن خرج منه بعفو

---

[51] . الماورديّ، **نصيحة الملوك**، 56.

[52] . صفوت، أحمد زكي، **م.س**، 117/4.

[53] . يروى البيت لعرهم العدويّ قاله بعد أن رفض خالد بن عبد الله نصيحته له في قتال الأزارقة. انظر: القالي، **الأمالي**، 3/ 32.

[54] . ممّا جاء من أسلوب " بيدبا": " أيّها الملك إنّك في منازل آبائك وأجدادك من الجبابرة الّذين أسّسوا الملك قبلك، واستجاشوا العدّة،..وإنّك أيّها الملك قد ورثت أرضهم وديارهم وأموالهم ومنازلهم الّتي كانت عدّتهم، فلم تقم في ذلك بحقّ ما يجب عليك، بل طغيت وعتوت وعلوت على الرّعيّة، وأسأت السّيرة، وعظمت منك البليّة. وكان الأولى والأشبه بك أن تسلك سبيل أسلافك، وتتّبع آثار الملوك قبلك، وتقفو محاسن ما أبقوه لك، وتقلع عمّا عاره لازم لك، وشينه واقع بك؛ تحسن النّظر برعيّتك، وتسنّ لهم سنن الخير الّذي يبقى بعدك ذكره... فلم أتكلّم بهذا ابتغاء عرض تجاريني به، ولا التماس معروف تكافئني فيه، ولكنّي أتيتك ناصحًا مشفقًا عليك". انظر: ابن المقفّع، **كليلة ودمنة**، 23–24.

[55] . وممّا جاء في ردّ " دبشليم" على نصيحة "بيدبا" الآنفة الذّكر:"لقد تكلّمت بكلام ما كنت أظنّ أنّ أحدًا من أهل مملكتي يستقبلني بمثله، ولا يقدم على ما أقدمت عليه. فكيف أنت مع صغر شأنك، وضعف منّتك وعجز قوّتك؟ وقد أكثرت إعجابي من إقدامك عليّ، وتسلّطك بلسانك فيما جاوزت فيه حدّك، وما أجد =

من الملك، لم يتّبع طريقته السّابقة في النّصح، إنّما اتّبع طريقة التّورية والإيماء، فصاغ نصائحه ومواقفه السّياسيّة والعمليّة من خلال شخصيّات من عالم الحيوان[56].

وتكون المناصحة من ضرب التّعاون مع الحاكم، وتكون أيضًا من قبيل الطّاعة له؛ ولعلّ ما ورد في خطبة " زياد بن أبيه" ما يدعم مثل هذا المعنى، فقد قال في خطبته البتراء مبيّنًا حقوق وواجبات كلّ من الحاكم والرّعيّة تجاه الآخر: " أيّها النّاس، إنّا أصبحنا لكم سادة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الّذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الّذي خوّلنا، فلنا عليكم السّمع والطّاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما ولّينا، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا.."[57].

ونجد تأكيد "ابن المقفّع" على نجاح السّلطان في تدبير أمر مملكته إذا ما استعان في سياسته بالنّاصحين الأخيار: " ولا يستعين فيه إلاّ بالثّقات النّصّاح.."[58].

وقد وردت في ثنايا الرّوايات الأدبيّة وصايا ومواعظ موجّهة للأسكندر، ملك اليونان، وفيها مدح للأخيار الّذين يعينون الملك في حكمه بمناصحتهم له وبدعائهم له، " يا إسكندر! الأخيار يتقرّبون إلى الملك بالمناصحة والدّعاء إلى الخير، والأشرار يتقرّبون إليه بمساوىء النّاس والطّعن في أعراضهم،.."[59].

ويؤخذ على بعض الخلفاء والملوك الضّعفاء عدم إصغائهم إلى النّصيحة وعدم عملهم بها، كالخليفة الأمين الّذي وصف بأنّه كان لا يصغي إلى نصيحة ولا يقبل مشورة، وهذا من الأسباب الّتي أدّت إلى خلعه من الخلافة[60].

= شيئًا في تأديب غيرك أبلغ من التّنكيل بك". ثمّ يأمر بقتله وصلبه، قبل أن يتراجع عن ذلك بإصدار الأمر لحبسه. انظر: ابن المقفّع، **كليلة ودمنة**، 24.

[56] . للاطلاع على القصّة الكاملة انظر: ابن المقفّع، **كليلة ودمنة**، 18–32.

[57] . الجاحظ، **البيان والتّبيين**، 2/ 64.

[58] . انظر رسالة في الصّحابة لابن المقفّع ضمن: صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، 3/ 37–38.

[59] . الخوارزميّ، **مفيد العلوم**، 459.

[60] . الطّرطوشيّ، **سراج الملوك**، 186.

ويعتبر عدم تقدير النّصيحة والعمل بها ظلمًا، حيث نجد رواية مسندة عن بعض الحكماء غير المسمّى ما يفيد ذلك: " اثنان ظالمان؛ رجل أهديت له النّصيحة فاتّخذها ذنبًا، ورجل وسّع له في مكان ضيّق فجلس متربّعًا"[61].

غير أنّ عدم مراعاة قواعد اللّباقة في الإدلاء بالنّصيحة يعدّ تقصيرًا واضحًا من جانب النّاصح، ويعذر المنصوح في عدم قبوله النّصيحة، كالرّواية الّتي يسوقها ابن عبد ربّه[62] حول الخليفة الرّشيد، الّذي قال له رجل يومًا: " يا أمير المؤمنين، إنّي أريد أن أعظك بعظة فيها بعض الغلظة فاحتملها، قال: كلاّ، إنّ الله أمر من هو خير منك بإلانة القول لمن هو شرّ منّي؛ قال لنبيّه موسى إذ أرسله إلى فرعون " فقولا له قولاً ليّنًا لعلّه يتذكّر أو يخشى"[63].

وقد تقترن النّصيحة بالكلام لا بالعمل والفاعليّة، وفيذكر أنّ المأمون أصغى إلى رجل يعظه منصتًا، فلمّا فرغ قال: "قد سمعت موعظتك، فأسأل الله أن ينفعنا بها، وربّما عملنا، غير أنّا أحوج إلى المعاونة بالفعال منّا إلى المعاونة بالمقال، فقد كثر القائلون وقلّ الفاعلون"[64].

وفي إطار التّحذير من سوء طويّة بعض النّاصحين، وخصوصًا إذا لبسوا ثياب الصّديق، يقول مسكويه[65] الفيلسوف الفارسيّ: " إنّ الأشرار يدخلون بين الأخيار في صورة النّصحاء، فيوهمونهم النّصيحة، وينقلون إليهم في عرض الأحاديث اللّذيذة أخبار أصدقائهم محرّفة مموّهة،.."[66].

---

[61] . البستيّ، **روضة العقلاء**، 181.

[62] . انظر: ابن عبد ربّه، **العقد الفريد**، 3/ 100.

[63] . سورة طه، الآية 44.

[64] . ابن عبد ربّه، **العقد الفريد**، 3/ 101.

[65] . هو أحمد بن محمّد، مؤرّخ ومشتغل بالفلسفة، أصله من الرّيّ، وسكن أصفهان وتوفّي بها. أولع بالأدب والإنشاء والتّاريخ. كتب لعضد الدّولة البويهيّ فلقّب بالخازن، ثمّ اختصّ ببهاء الدّولة البويهيّ. توفّي سنة 421 هـ/ 1030 م. انظر: الزّركليّ، **الأعلام**، 1/ 211–212.

[66] . مسكويه، **تهذيب الأخلاق**، 175.

وفي هذا الإطار قال " أكثم بن صيفيّ" في خطبته المشهورة أمام كسرى، محذّرًا من فساد الأعوان: " من فسدت بطانته كان كالغاصّ بالماء"[67]، فالسّلطان في هذه الحال كالحذر الّذي يؤتى من مأمنه، حيث لا ناصح مخلص من خاصّته يمحضه النّصح، ولا قوّة له على إنفاذ الأمر.

كما جاء في انتقاد الرّجل النّاصح غيرَه ولا يعمل بما ينصح ما ورد في حكاية الحمامة والثّعلب ومالك الحزين[68]، ضمن حكايات كليلة ودمنة، حيث يقوم مالك الحزين بمساعدة الحمامة في التّخلّص من مصيبتها الدّائمة المتمثّلة في افتراس الثّعلب فراخها كلما رزقتها، وما كانت نصيحة مالك الحزين "الثّمينة" إلاّ لإدراكه حيلة الثّعلب مع الحمامة السّاذجة، إذ كان هذا يهدّدها بتسلّقه أعلى النّخلة الّتي كانت ترعى فيه صغارها، وما كان منها إلاّ أنها كانت تلقي إليه بفراخها خوفًا ورهبة. ولكنّ سذاجة الحمامة لا تقف عند حدّ، فهي تخبر الثّعلب الغاضب بهويّة النّاصح الأمين الّذي دلّها على طريق الصّواب، فلم تعد تخاف الثّعلب لأنّه لا يستطيع تسلّق النّخلة، ولأنّه — إن فعل– فلن تخسر أكثر ممّا تخسره لو ألقت إليه بفراخها، لأنّها تستطيع الطّيران والنّجاة بنفسها من مخالبه. ثمّ يرفع الثّعلب درجة المكر ليواجه به عدوّه الفطن، فيخدعه ويتغلّب عليه، شامتًا به وهو يلفظ أنفاسه في لحظات حياته الأخيرة قائلاً:" يا عدوَّ نفسه، ترى الرأي للحمامة وتعلّمها الحيلة لنفسها، وتعجز عن ذلك لنفسك حتّى يتمكّن منك عدوّك!"[69].

وعدّ إظهار السّوء وإشاعته في قالب النّصح نفاقًا، إذ يجب إخلاص النّيّة للنّصح دون مخالطة إساءة أو نحوها[70].

وفي التّراث الإسلاميّ؛ القرآن الكريم والحديث الشّريف، تركيز واضح على أهمّيّة النّصح لعموم المسلمين وخاصّتهم، كسلوك اجتماعيّ تربويّ يعبّر عن صدق النّيّة وحسن الطّويّة، إذ النّصح عمل خير يدخل في صميم العبادة الحقّة.

---

67. ابن عبد ربّه، **العقد الفريد**، 8/ 233.

68. ابن المقفّع، **كليلة ودمنة**، 250–252.

69. **ابن المقفّع، م.س**، 252.

70. الحنبليّ، ابن رجب، **الفرق بين النّصيحة والتّعيير**، 22–24.

فقد ورد " النّصح" بمشتقّاته اللّفظيّة في غير موضع من القرآن الكريم، كقوله تعالى" وقالَ يا قومي لقد أبلغْتُكم رسالةَ ربّي ونصحْتُ لكم"[71]، " فتولّى عنْهم وقالَ يا قومِ لقدْ أبلغْتُكم رسالات ربّي ونصحْتُ لكم"[72]، " ولا على الّذين لا يجدونَ ما يُنفقونَ حرجٌ إذا نصحُوا للّهِ ورسولِهِ"[73]، " ولا ينفعُكم نُصحِي"[74]، " أبلّغُكم رسالات ربّي وأنا لكم ناصحٌ أمينٌ"[75]، " قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنّا على يوسفَ وإنّا له لناصحون"[76]، " فقالت هل أدلُّكم على أهل بيتٍ يكفلونه لكم وهم له ناصحون"[77]، " وقاسمهما إنّي لكما لمن النّاصحين"[78]، وآيات أخرى.

وفي إطار السّنّة النّبويّة يروى عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: " الدّينُ النّصيحةُ"، قيل: لمن يا رسولَ اللّهِ؟ قالَ: " للّه" ولرسولِهِ ولأئمّةِ المسلمينَ وعامّتِهم"[79]. ويعتبر بعض العلماء الحدّثين النّصح واجبًا واقعًا على كاهل كلّ مسلم عاقل، وهو حقّ لكلّ مسلم على كلّ مسلم[80]، ويعتبر ألحّ الإخوان في نصح إخوانهم خير الإخوان[81]. كما يعتبر نصح الإمام ولزوم طاعته فرضًا واجبًا لا يثبت إيمان إلاّ به[82].

---

[71] . الأعراف الآية 79.

[72] . الأعراف الآية 93.

[73] . التّوبة الآية 91.

[74] . هود الآية 34.

[75] . الأعراف الآية 68.

[76] . يوسف الآية 11.

[77] . القصص الآية 12.

[78] . الأعراف الآية 21.

[79] . **صحيح مسلم** (74)؛ **سنن أبي داود** (4944)؛ **مسند أحمد** 4/ 102.

[80] . البستيّ، **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، 180.

[81] . البستيّ، **م.س**، 180.

[82] . ابن عبد ربّه، **العقد الفريد**، 1/ 7.

وقد قيل: "إذا استخار الرّجل ربّه، واستشار نصيحه واجتهد، فقد قضى ما عليه، ويقضي الله في أمره ما يحبّ"[83]. وقيل أيضًا: "إذا استُشرت فانصح، وإذا قدرت فاصفح.."[84]. كما قيل أيضًا: "من وعظ أخاه سرًّا زانه، ومن وعظه علانية شانه"[85].

وفي الرّوايات عن الزّهّاد ما يتّصل بموضوعنا، ومن ذلك ما نجده في جواب الخليفة الأمويّ " عمر بن عبد العزيز" لأحد المتنصّحين: "لو ذكرتَ الموت شغلك عن نصيحتك"[86]. ويروى أنّ الخليفة "المنصور" أرسل إلى "سفيان الثّوريّ"[87]، فلمّا دخل عليه طلب منه أن يعظه، فقال: "وما عملت فيما علمت فأعظك فيما جهلت؟" وتقول الرّواية إنّ المنصور لم يجد له جوابًا[88]. ونضيف إلى ذلك الرّواية الّتي ذكرناها في هذا المقال عن الفضيل بن عياض، حيث قال: " المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعيّر"[89].

وفي التّراث العربيّ موروث فارسيّ حول مفهوم النّصح يدلّ على تأثّر جليّ بالحضارة الأعجميّة، وهذا الموروث ينقل لنا أقوالا ووصايا من حكماء الفرس وملكوهم. وأبرز ما يميّز هذا التّراث أنّه متّصل إلى حدّ بعيد بالفلسفة السّياسيّة الفارسيّة، حيث نجد أنّ " النّصيحة" هي أمر غاية في الأهمّيّة بالنّسبة إلى عمل الحاكم، حيث أنّ البيروقراطيّة الفارسيّة السّاسانيّة ساعدت على نشوء ما يعرف بالآداب التّعامليّة والوصايا[90].

---

[83] . الجاحظ (منسوب)، **المحاسن والأضداد**، 34؛ البيهقيّ، **المحاسن والمساوىء**، 272.

[84] . الجاحظ، **م.س**، 34؛ البيهقيّ، **م.س**، نفس الصّفحة.

[85] . الجاحظ، **م.س**، نفس الصّفحة؛ البيهقيّ، **م.س**، نفس الصّفحة.

[86] . صفوت، أحمد زكي، **جمهرة رسائل العرب**، 2/ 496.

[87] . كان سيّد أهل زمانه في علوم الدّين والتّقوى. ولد ونشأ في الكوفة. وسكن مكّة والمدينة، ثمّ طلبه الخليفة المهديّ فتوارى. وانتقل إلى البصرة فمات بها مستخفيًا سنة 161 هـ/ 778 م.. من أبرز ما خلّف من مصنّفات: "الجامع الكبير"، و "الجامع الصّغير" وغيرهما. انظر: الزّركليّ، **الأعلام**، 3/ 104–105.

[88] . ابن عبد ربّه، **العقد الفريد**، 1/ 43؛ 2/ 85.

[89] . الحنبليّ، **الفرق بين النّصيحة والتّعيير**، 17.

[90] . Bosworth, " Nasihat AL-Muluk", *EI*, New Edition, 7/984.

وللتّمثيل على هذا الموروث الفارسيّ الّذي نجده مضمّنًا في التّراث العربيّ نورد ما ورد على لسان "بزُرجمِهر" مجيبًا بعض سائليه في النّصّ التّالي: " ما أشدُّ الأشياءِ عن أهلِها غنىً؟ قال: النّصيحةُ لمن لا يقبلُها، والإشارةُ على المعجبِ برأيهِ، والمجادلةُ لكفِ حرصِ الحريص"[91].

وكان " بزرجمهر" حكيمًا ومستشارًا "لأنوشروان"، ويروى أنّه كان أكبر علماء عصره، وكان "أنوشروان" يفضّله على وزرائه وعلماء دهره[92]. وردت حكمه في ثنايا كتب الأدب العامّة، إلى جانب الكتب المعتنية بالأخلاق والسّياسة والعبر، وحتّى إنّ بعض المصنّفين تصرّفوا كثيرًا في مضمون أقوال "بزرجمهر" وأسلوبها. وعلى سبيل المثال ما يذكره مؤلّف " فاكهة الخلفاء" فيقول: "بلغنا أيّها الخنّاس، الملقي بالوسواس في صدور النّاس، أنّ "بزرجمهر" الوزير، وكان ذا علم غزير، ورأي وتدبير، وبديهة جواب تفحم الكدّ والتّفكير، وكان حكيم زمانه وعليم أوانه، وممّن فاق في الفضل والحكم سائر أترابه وأقرانه، وكان مقرّبًا عند مخدومه، يزيد في كلّ وقت في تكريمه وتعظيمه، وتوقيره وتفخيمه، ويصغي إلى نصائحه، ويعدّ قربه من أعظم مناجحه، ويصبر على كلامه الصّادع، ووعظه القارع، ونصحه الفادع، لما فيه من الفوائد والمنافع، والحكم والبدائع.."[93].

وقال ينصحه يومًا، بعد طلبه منه أن يدلّه على حكمة فيها منفعته الخاصّة ومنفعة عامّته — وفي هذا إشارة إلى أهمّيّة طلب النّصيحة والإصغاء إليها في التّراث الفارسيّ أيضًا–: " أيّها الملك، أنا جامع لك ذلك في اثنتي عشرة كلمة، أوّلهنّ تقوى الله في الشّهوة والرّغبة والرّهبة والغضب، فاجعل ما عرض من ذلك كلّه لله لا للنّاس، والثّانية الصّدق في القول والوفاء بالعدات والشّروط والعهود والمواثيق، والثّالثة مشورة العلماء فيما يحدث من الأمور، والرّابعة إكرام العلماء والأشراف وأهل الثّغور والقوّاد والكتّاب..."[94] ثمّ ما كان من أمر " أنوشروان" إلا أن أمر بأن يكتب هذا الكلام بالذّهب، قائلاً إنّ فيه جوامع السّياسات الملوكيّة[95].

---

[91] . مسكويه، **الحكمة الخالدة**، 37.

[92] . الدّينوريّ، **الأخبار الطّوال**، 70.

[93] . ابن عربشاه، **فاكهة الخلفاء**، 179.

[94] . المسعوديّ، **مروج الذّهب**، 1/ 268–269.

[95] . **المسعوديّ، م.س**، 1/ 269.

وروي أنّ " أردشير بن بابك" سئل يومًا: " أيّ الأصحاب أصلح للملك؟" فأجاب: " الوزير العاقل الشّفيق الأمين النّاصح، ليدبّر معه أمره، ويشير إليه بما في نفسه"[96].

وفي رواية أخرى عن "أردشير" ذاته أنّه قال: " حقيق على الملك أن يكون طالبًا لأربعة، فأذا وجدهم احتفظ بهم؛ الوزير الأمين، والكاتب العالم، والحاجب الشّفيق، والنّديم النّاصح"[97]. ويمضي " أردشير" في تعداد سبب وجوب طلب الملك لهؤلاء الأربعة، وما يعنينا هنا هو " النّديم النّاصح"، فيعلّل سبب أهمّيّته بقوله: " وإذا كان النّديم ناصحًا دلّ على انتظام الأمر وصلاحه"[98].

ويروى أنّ ملوك العجم قالوا: " أخلق النّاس بالتّورّط والنّدم أعصاهم للنّصحاء"، وكذلك يروى عن بعض الحكماء قولهم: "اتّخذ من علمائك ونصحائك مرآة لطباعك وفعالك، كما تتّخذ لصورة وجهك الحديد المجلوّ، فإنّك إلى صلاح طباعك وأفعالك أحوج منك إلى تحسين صورتك، فالعالم النّاصح أصدق وأعوز من الحديد المجلوّ"[99]. وفي هذا القول الأخير ما يعرض النّصيحة السّياسيّة كمرايا للملك وللنّظام الحاكم، ويتّفق كثيرًا مع الحديث الشّريف " المؤمن مرآة أخيه المؤمن"[100]. ومن هنا نشأ اللّون الأدبيّ المعروف باسم "مرايا الأمراء" أو "مرايا الملوك"، حيث عرف أوّل ما عرف في التّراث الإنسانيّ في أوروبا القرون الوسطى، تحت المسمّى اللاتينيّ Furstenspiegel[101].

---

[96] . الغزاليّ، **التّبر المسبوك**، 225–226.

[97] . الغزاليّ، **م.س.**، 227.

[98] . الغزاليّ، **م.س.**، نفس الصّفحة.

[99] . الماورديّ، **نصيحة الملوك**، 53. ويروى القول بشكل آخر: " اتّخذ من نصائحك مرآة لطباعك، فإنّك أحوج إلى تحسينها من تزيين صورتك بمرآتك". انظر: سبط ابن الجوزيّ، **الجليس الصّالح**، 47.

[100] . البخاريّ، 239.

[101] . Bosworth, " Nasihat AL-Muluk", *EI*, New Edition, 7/984.

وهذه الرّوايات تنسجم مع رواية أخرى، حيث يذكر الغزاليّ قولاً لموبذان من عهد أنوشروان، أبرز ما يهمّنا فيه قوله: " لا يمكن حفظ السّلطنة إلاّ بالأصحاب الأخيار النّاصحين المساعدين"[102].

وقد لا تسمّي المراجع حكماء الفرس ولا تنسبهم إلى فارس، فتستخدم الرّوايات لفظة " قالت الحكماء"، وفي الغالب يشير هذا التّعبير إلى حكماء الفرس (أو الهند أحيانًا، ولكن عن طريق الثّقافة الفارسيّة). ونمثّل على هذا الاتّجاه بالرّواية التّالية: " قالت الحكماء: لا ينفع الملك إلاّ بوزرائه وأعوانه، ولا ينفع الوزراء والأعوان إلاّ بالمودّة والنّصيحة، ولا تنفع المودّة والنّصيحة إلاّ مع الرّأي والعفاف.."[103].

ولئن تلقّف المؤرّخون والأدباء المسلمون هذا التّراث الفارسيّ الضّخم، وكان في هذا التّلقّف ما يشير إلى رعاية الحكم الأخلاقيّة الفارسيّة ذات الأصل اليونانيّ[104]، فإنّ مضمون هذه الحكم قد اندمج بدوره مع الأخلاقيّات العربيّة الكلاسيكيّة، وصار يشكّل معها ما يمكن أن نسمّيه "أخلاقيّات التّراث العربيّ الوسيط". إذ تمّ تطويع بعض المعايير الإسلاميّة وملاءمتها لتقاليد وموروثات نظام الملك السّاسانيّ، لأنّ تقاليد وموروثات هذا النّظام اتّسمت ببناء نظريّة مثاليّة للحكم. وقد قام كلّ من العلماء والفلاسفة وأهل القضاء بعمليّة التّطويع هذه، حتّى أضحت النّصيحة أحد معالم السّلطة المثاليّة[105].

ولا شكّ أنّ " النّصيحة" – كما رأينا– تشكّل موضوعة أساسية[106] لهذا النّوع من الأدب، إذ تشترك فيها التّيّارات الثّقافيّة المختلفة؛ وأبرزها التّيّار الدّينيّ المتمثّل بالقرآن الكريم والسّنّة وأقوال الصّحابة والزّهّاد والفقهاء، والتّيّار العقلانيّ المتمثّل بالكتابة المنطلقة من الأساس العقلانيّ

---

[102] . الغزاليّ، **م.س**، 227–228.

[103] . ابن عبد ربّه، **العقد الفريد**، 1/ 24.

[104] . من المتعارف عليه لدى الباحثين أقدميّة الفكر اليونانيّ الأخلاقيّ، ويعدّ فلاسفة اليونان "أرسطو" و"أفلاطون" من المنابع الأساسيّة لعلم الفلسفة في التّراث الإنسانيّ.

[105] . Lambton, *Theory and Practice in Medieval Persian Government*, 419-420

[106] نستخدم المصطلح "موضوعة" هنا دلالة على التفريع، فالنصيحة تعدّ فرعًا من الأدب الأخلاقي.

البحث، ككتابات ابن المقفّع وغيره ، والتّيّار الفلسفيّ المتمثّل بكتابات الفلاسفة الّذين تعاملوا مع الموضوع من منطلق فلسفيّ، كمسكويه والتّوحيديّ وغيرهما.

وإنّنا نستطيع – دون شكّ – أن نعتمد على هذه التّيّارات جميعًا في محاولة الإسهام بدراسة التّراث الأدبيّ والحضارة العربيّة، إلى جانب الحضارة الإنسانية لأنّها في نهاية الأمر تصبّ في مصبّ واحد.

المراجع:

1. **القرآن الكريم**.
2. ابن الحجّاج، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج. **صحيح مسلم**. تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار الفكر، 1403 هـ.
3. ابن حنبل، صالح بن أحمد. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. بيروت: مؤسّسة الرّسالة، 1413 هـ.
4. ابن طلحة، أبو سالم محمّد. **العقد الفريد للملك السّعيد**. تحقيق: محمّد رضوان مهنّا. القاهرة: مكتبة الإيمان، 2000.
5. ابن عبد ربّه، أحمد بن محمّد. **العقد الفريد**. تحقيق: محمّد سعيد العريان. بيروت: دار الفكر، د.ت.
6. ابن عربشاه، أحمد بن محمّد. **فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظّرفاء**. تحقيق: أيمن البحيريّ. القاهرة: دار الآفاق العربيّة، 2001.
7. ابن قتيبة، أبو محمّد عبد الله بن مسلم. **عيون الأخبار**. شرح وتعليق: مفيد قميحة. بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت.
8. ابن المقفّع، عبد الله. **الأدب الصّغير والأدب الكبير**. بيروت: دار صادر، د.ت.
9. _____. **كليلة ودمنة**. القاهرة: مكتبة مصر، د.ت.
10. ابن منظور، جمال الدّين محمّد بن مكرم. **لسان العرب**. بيروت: دار صادر، 1994.
11. إخوان الصّفا. **رسائل إخوان الصّفا**. بيروت: دار صادر، د.ت.
12. الأصبهانيّ، أبو نعيم. **حلية الأولياء**. بيروت: دار الكتاب العربيّ، 1387 هـ.

13. البخاريّ، محمّد بن إسماعيل. **صحيح البخاريّ**. تحقيق: طه عبد الرّؤوف سعد. القاهرة: مكتبة الإيمان، 2003.

14. البستيّ، أبو حاتم محمّد بن حبّان. **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**. صيدا– بيروت: المكتبة العصرية، 2003.

15. البيهقيّ، إبراهيم بن محمّد. **المحاسن والمساوىء**. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1999.

16. التّوحيديّ، أبو حيّان. **الصّداقة والصّديق**. تحقيق: إبراهيم الكيلانيّ. دمشق: دار الفكر، 1996.

17. الثّعالبيّ، عبد الملك بن محمّد. **تحفة الوزراء**. تحقيق: سعد أبو ديّة. عمّان: دار البشير، 1994.

18. _____. **التّمثيل والمحاضرة**. تحقيق: قصيّ الحسين. بيروت: دار ومكتبة الهلال، 2003.

19. الجاحظ، عمرو بن بحر. **البيان والتّبيين**. تحقيق: عبد السّلام هارون. بيروت: دار الجيل، د.ت.

20. _____. **المحاسن والأضداد**. شرح: يوسف فرحات. بيروت: دار الجيل، 1997.

21. الحصريّ، إبراهيم بن عليّ. **زهر الآداب**. شرح: صلاح الدّين الهوّاريّ. صيدا – بيروت: المكتبة العصريّة، 2001.

22. الحنبليّ، ابن رجب. **الفرق بين النّصيحة والتّعبير**. عمّان: دار عمّار، 1988.

23. الخوارزميّ. **مفيد العلوم ومبيد الهموم**. صيدا– بيروت: المكتبة العصريّة، 1998.

24. الدّينوريّ، أبو حنيفة. **الأخبار الطّوال**. تحقيق: عمر الطّبّاع. بيروت: دار الأرقم، د.ت.

25. الزّركليّ، خير الدّين. **الأعلام**. بيروت: دار العلم للملايين، 1999.

26. الزّمخشريّ، جار الله محمود بن عمر. **أساس البلاغة**. بيروت: دار الفكر، 1994.

27. سبط ابن الجوزيّ. **الجليس الصّالح والأنيس النّاصح**. تحقيق: فوّاز صالح فوّاز. لندن: رياض الرّيّس للكتب والنّشر، 1989.

28. السّبكيّ، عبد الوهّاب. **معيد النّعم ومبيد النّقم**. بيروت: مؤسّسة الكتب الثّقافيّة، 1986.

29. السّجستانيّ، أبو داود. **سنن أبي داود**. بيروت: دار الكتاب العربيّ، د.ت.

30. الشّافعيّ، محمّد بن إدريس. **ديوان الشّافعيّ**. شرح: محمّد عبد الرّحيم. بيروت: دار الفكر، 1997.

31. شيخو، لويس. **شعراء النّصرانيّة قبل الإسلام**. بيروت: دار المشرق، 1991.

32. صفوت، أحمد زكي. **جمهرة رسائل العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**. بيروت: المكتبة العلميّة، د.ت.

33. الطّبريّ. **تاريخ الرّسل والملوك**. بيروت: دار الفكر، 2002.

34. الطّرطوشيّ، أبو بكر. **سراج الملوك**. بيروت: دار صادر، 1995.

35. الغزاليّ، أبو حامد. **إحياء علوم الدّين**. بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت.

36. _____. **التّبر المسبوك في نصيحة الملوك**. تحقيق: محمّد دمج. بيروت: مؤسّسة عزّ الدّين، 1996.

37. _____. **رسائل الغزاليّ**. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1986.

38. القاليّ، أبو عليّ إسماعيل بن القاسم. **الأمالي**. دار الكتب العلميّة، بيروت، 1996.

39. القرطبيّ، يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ. **بهجة المجالس وأنس المُجالس وشحذ الذّاهن والهاجس**. تحقيق: محمّد الخوليّ. بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت.

40. المالقيّ، أبو القاسم ابن رضوان. **الشّهب اللّامعة في السّياسة النّافعة**. تحقيق: محمّد حسن إسماعيل. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2004.

41. الماورديّ، أبو الحسن. **أدب الدّنيا والدّين**. تحقيق: محمّد صبّاح. بيروت: دار مكتبة الحياة، 1987.

42. _____. **نصيحة الملوك**. تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد. الإسكندريّة: مؤسّسة شباب الجامعة، 1986.

43. المسعوديّ، عليّ بن الحسن. **مروج الذّهب ومعادن الجوهر**. تحقيق: محمّد محي الدّين عبد الحميد، بيروت: المكتبة الإسلاميّة، د.ت.

44. مسكويه. **تهذيب الأخلاق**. القاهرة: مكتبة الثّقافة الدّينيّة، د.ت.

45. _____. **الحكمة الخالدة**. تحقيق: عبد الرّحمن بدوي. بيروت: دار الأندلس، 1980.

46. Bosworth, " Nasihat Al Muluk", *EI*, New Edition, vol 7, pp 984-988.

47. Goichon, A.M, " Hikma", *EI*, New Edition , vol 3, pp 377-378.

48. Lambton, A.K.S, *Theory and practice in medieval persian government*, Varioum Reprints, London, 1980

49. Wazler, F., Gibb, H. A. K., " Akhlak", *EI*, New Edition, vol 1, pp 325-329.

תקציר:

מאמר זה דן בנושא "הנציחה" במורשת הערבית הקלאסית, לאור המובן הרחב של המושג "אדב", אשר כולל בתוכו את מגוון תחומי ההשכלה והתרבות הערבית השונים: הפילוסויים, החברתיים, הדתיים, והאומנותיים.

מטרתנו במאמר זה הינה להביא לגלות את המשמעויות השונות של המונח "נציחה" במורשת הערבית, תוך התמקדות במסורות הספרותיות השונות. יש לציין כי נושא זה הינו כל כך פופולרי בספרות הערבית הקלאסית לסוגיה. ואולי, קל להבחין בשוני שבין סוגי ספרות אלה בהתיחסותם אל המושג " נציחה" מנקודות המבט השונות.

אנו ננסה במסגרת מאמר זה לחבר בין סוגי הספרות הערבית הקלאסית בהתיחסותם לנושא הנ"ל, למרות נקודות המוצא השונות של כל אחד מהם.